

نامق سلطان

ترقيع الأمل

قصائد

ترقيع الأمل
شعر
نامق سلطان
مؤلف من العراق

جميع الحقوق محفوظة ©
مومنت™ للكتب والنشر
لندن 2016

Moment, Books & Publications
momenteast@yahoo.com
www.p4bsite.wordpress.com

هذا الكتاب مبني ومعنى على مسؤولية
المؤلف، ولا تتحمل مومنت للكتب والنشر،
ولا العاملين بها ولا المنضوين تحتها، أية
تبعات تنتج عن ذلك في الآراء والمواقف.

الغلاف والخطوط: وانه لي.

غريق

القاربُ الخشبيّ العجوز

يتهاذى بعيدا

وذاك الذي اكتنفه الماء

سيبذل

من أجل جمرة مدفونة في الرمال

دمه الساخن

سيكون له الشاطئُ

والشاطئُ الآخر المهجور

ستكون له رغبته

وخوفه وجسده الطافي

وتغني له بنات الحداث في الليل.

صبايا

1

الصبية المرسومة بالفراشات

تطمئن اللهب

جرحها ثلج

عذابها

يمحو العذاب من الوجوه

دمعها البارد

تسبح فيه الطيور

سأزرع حول تمثالها

أصابع من نار

تعزف وحدتها

الصبيّة

مخدوعةً بحرير أيامها

تشعل في خُيلاء ثوب الفقر

على المرتفعات

وتعقد أعيادا

للحشرات القاتمة البلهاء

تبعناها

حتى الشجر المهجور بأطراف العالم

حتى آخر طير مات

وكان يغني

ناديناها

لم تسمع

كانت تجلس في قلب الوقت

ترتق شيخوختها

بخيوط بالية.

3

الثلج

الثلج يا امرأة مرسومة في الهواء

يدثر ملامحك الحادة

ويمحو تفاصيل قلبك المضطرب

الثلج

صوتك الخائف

المتروك في انتظار الشمس

وفي انتظار أن يصرخ

من أجل لا شيء

ومن أجل أن تلمسي الفراغ

وتضيئيه

بأصابعك الطرية

ناقصة الخبرة.

4

لأجلك

لأجل أشياءك الصغيرة المهملة

ستكون فحوى النار

لأجل أن تمسك مسّاً رقيقاً

وتشعل أسرارك

بينما وجهك الغائب

يمعن في صمته

كي يضيئ الكلام.

قصائد جبلية

1

أنتِ

عطر الصباح البريِّ

طراوته المحمولة من أقاص بعيدة

مما قبل الولادة والموت

عندما لم تلمس الشمس

غير وجهك

والأنهار لم تبلل

غير أقدامك

عندما كانت الأشياء طاهرة

كأنها في حضرة الله.

2

ربما تغسل أمطار العام القادم

وجوهنا

وأقدامنا

نحن الخارجين من كنف الغبار والمدن

الحاملين مراثي ليلة طويلة إلى الفجر

ربما تبرعم أجسادنا في نهار ما من آذار

وقرب نبع بارد في جبل بعيد

ربما نولد ثانية

في وردة الثلج.

3

هناك

في السفح الغربي لبيره مكرون*

كانت الطيور تهبط من الأعلى

متحدة بالغيم

ومازجة صوتها برذاذ الضوء

بينما أعضاؤنا كانت تتناثر

تحت هيمنة الفرح

الأشياء كلها كانت مأخوذة بالرقص

حتى الحجر

وحده الجبل بلحيته البيضاء

كان يرمقنا

صامتاً.

4

سأطير رسالةً أخرى الى الخريف:

أشقاؤنا في الصمت

قلبوا كراسيهم

واقفوا مواطئ أصواتنا في البراري

وكنا نغني

ترافقنا جوقة من رعاة بناياتهم مبحوحة

الصوت

كنا سنمسح آثار من سبقونا الى موتهم

كنا سنترك أثوابنا، والعصي، وقطعاننا

على حافة الليل

كنا سنستدرج القمر البدر

الى ربوة من رخام

ثم ندلج

من دون أسمائنا.

وداع كثير

لهذه العشبة المطمئنة في نومها

على ساقية الفجر

وداع لها

لأنني لا أملك أن أدفع الصيف عنها

ولأ أن أفك أسار الكلام المحوَّط بالسر

وداع لعينين ما طرتين ضياءً نديا

على جنة الأقحوان

التي أزهرت عند شطانها

كي تحج الفراشات أليها

أنا

سأغني لها كلما مسني مطر

وأشعل في الروح غصنا جديدا

وأبحث في سفح أزمـر*

عن صورة نقلتها الرياح القديمة

بين الينابيع والموت

حيث أنْتَبْذنا معا.

* يبره مكرون وأزمـر جبلان في السلـيمانـية

قصائد جبلية أخرى

1

لأجل من

أقمت في الكلام قرية

وعلقت فوقها شمساً

من صباح الغابات

وأنت تقيمين

في علو شاهق من الماس

تقيمين في أنوثة الأشجار

قبل أن يضللها المساء المبكر الطاغي

ويودعها في الغياب.

2

الكلام

كلام الحجر

كلام يشير الى قسوة الموت

يمسح الضباب عن وجه الجبل

ويكسر عزلته بين السهول

كلام امرأة

تشعل نار غنائها الدامي

في السفح المقابل للخريف

حيث بحثنا كثيرا

في ذاكرة الناي

بحثنا عن جذر طري

يقربنا من سماء صبية

تضيء ثمارها

ليل كوكبنا الأعشى
وترعى طواويسها بين النجوم
حتى كأن عطارده يولد منها
يتلو علينا حوادثه القادמות
كأن الغيم
نهداها الخارجان من الماء
مثل موجتين مجنونتين
تروضان العواصف
وتوقضان الدم في السنابل
وهي تمضي الى الحصاد.

3

الى الجبل البعيد

الضباب

العالى

علو حلم مقدس مقتول

أطلقت رغبتي أمامي.

الهواء يصفر

الهواء يحكي حكاية لا تنتهي

وآلاف المرات

يصعد ثم يهبط

باحثا في الصخور عن صفحة بيضاء

كي يكتبها

قبل أن يبدها الجفاف.

الممرات ضيقة

ومحصنة بالغبار

وليس ثمة من يحدس أوجاع الطفل

المشتت في أخطائه

كي يلمه من الكتابة.

الى ستار الشيخ

كم كان رائعا نهار البارحة
كان الهواء طريا كأصابعه
والشمس تحتضن الأرض كأُم دافئة
لذلك

آثرت أن أمشي لساعات
تحت السماء الصافية
عابرا الجسر العتيق
متأملا تلك البيوت المسترخية على النهر
ثم مارا بسوق السراي
والشوارع المكتظة بالألوان
تلك الأماكن التي يعرفها جيدا

الشوارع هادئة

عيون الناس

أصواتهم

كل شئ كان هادئا، وجميلا

حتى ليبدو مستحيلا أن يموت أحد

في ذلك النهار

مع ذلك

مات

.....

.....

.....

كم كان رائعا نهار البارحة

قبل أن يموت.

أقحوانة الكاهن

بعيني نجمة

تطل على العالم

وترى كل شيء

سيتلو نشيده القديم.

أشد اخضراراً من الآس

هذه الحشرات الضئيلة

المضيئة في هواء الأسي

المحلقة في أوهام طفولته

وها هي ترقص حوله

فاضحة خفاياه.

وأبعد كثيرا

من شهوات الضوء

حتى التعاوين في الجسد

وقد بدأت براعمه تنمو

تحت الجفاف.

خارج الوقت

هذا المكان المحي بقبرات أثرية

والمعلق كالحلم فوق جثة العالم

سيفتح أبوابه للكلام

حتى تنهمر التتمتات المجنونة

لأول حيوان أضاءه الخمر

فشق جسده مثل رمانة

وتفشى في الأشياء

فاتقا جواهرها

عن الأنث والليل.

خارج الوقت

الأقحوانة الهاربة

من رائحة الأسفلت والحدائق

تبحث عن عزلتها

في الزغب المبلل

لساق امرأة سمراء

مغمورة بالعشب.

خارج الوقت

الطفل ماء تائه

موغل في حيرته

بين الأم والضعف

وبعيدا عن أقرانه

يعيد للمرة الألف

ترتيب أحلامه.

سيسمي هذه الأقحوانة

عاشقا ينحني على التراب

سيسميها نارا

يوقدها في مساء ميت

ويدعو أسلافه

ليشهدهم أنه ما زال متقدما

كالحروف.

الجدار الرطب

ينثر رائحة امرأة

ذات رغبة معاندة

وقلبها مغمور بالدخان.

ثمة ما يجعل الحبر ينحل في الكتب

والفكرة تعلق في زاوية معتمة

بين العنكبوت والسخام

ثمة في هذا المساء

مساء آخر

مشبع برائحة امرأة

خارجة لتوها من الغابات

تلتف على ساقها نباتات متوحشة

ويداعب حلمتها منقار مفترس

وكأنها تتأهب للزواج من النار.

الطفل ذاته

مجبولا بغموض نقوش قديمة

يحصي خطوات الشمس بين الخرائب

أو يخمن التفاصيل الدقيقة

لعروج الروح

وها هو يخفي تحت رائحة الطين

قلائد أخطائه

كي يؤلف بين الكتابة والمحو

وها هو يبحث عن فاتحة لنشيد

كي يهرب الى صباح منسي

وبعيد

حيث امرأة الغابات

تجر ذئابها خلفها

وتغني.

الأقحوانة

هي الأخرى منسية

بين الحجر المهدم لبئر قديمة

وقريبا من الممر الرخامي

المغطى بنباتات شرسة

تحاول أن تتذكر

وعينها على الباب.

فتور

لم يكن ذلك المساء

مساء لوداعنا الى الأبد

مع ذلك

كانت الشفاه جافة

والكلمات تنفرط مثل خرز المسبحة.

أي صديقي القديم

أيها المولع بجمع الهواء في حقيبته

والسفر الى صباح اصطناعي

باحثا عن رغباته التي تبعثرت

بين الورق والدخان

أننا ما زلنا في المكان ذاته
حاملين الأسماء ذاتها
التي نودينا بها كثيرا
حين استدرجنا الى الصائد.

يا صديق العثرات الكثيرة
الأشياء باقية كما كانت
سوى أن الدروب التفت على بعضها
ورائحة الوقت
صارت أقرب الى رائحة الطلقة
التي تفاجئك
من مكان قريب وآمن.

صورة تذكارية

هل كان ذلك بعد انحسار الخيول

أم قبل خروج الإناث من الماء

.....

لا أتذكر

.....

غير أنني وجدت نفسي في منخفض

وكتل هائلة من الحديد تنقض علي

صرخت بالمجازيف:

تشبثي بأصابعه يا مجازيف

تمسكي جيدا بأقدامه يا أرض

تحصني برهافته

يا عواصف

يا فزع

يا جنون

.....

وما هي إلا لحظة

وإذا بالأرض تفلت من تحتنا

وأشلائنا تتطاير

هل كان ذلك

قبل هطول المراثي على الكون

أم بعد ابتكار الخراب

.....

لا أتذكر

تمثال

يا صبيّة

من تنتظرين عند هذا الباب القديم

المهجور وسط الرمال

كأنك تمثال

يحرس مملكة مدفونة.

يا صبيّة

هل سمعت هاتفًا في منامك

أم لمحت برقًا

أضاء لك الطريق بين حطام الأجساد

إلى طائر غريب

أَحْرَقَتِ الشَّمْسُ جَنَاحِيهِ لِأَجْلِكَ.

يَا ذَاتَ الشَّعْرِ الْمَوْصُولِ بِالرِّيحِ

شَعْرُكَ يَوْشِكُ أَنْ يَبْلَى

عَيْنَاكَ الْمَفْتُوحَتَانِ عَلَى الضُّوءِ

مِثْلَ سَمَاوَاتٍ صَافِيَةٍ

تَكَادَانِ أَنْ تَعْتَمَا

سَاقَاكَ الْقَائِمَتَانِ عَلَى صَدْرِ الْأَرْضِ

كَعَمُودَيْنِ مِنَ الْحَلِيبِ

سَتْنَهْدِمَانِ.

يَا صَبِيَّةَ

غَنِي دَمَا حَارَا لِعَطَشِنَا

وغدا نزرعك تاجا

على الحدائق.

الشجرة

الكلام ميت

لولا أنك فجأة

ولدت بيننا

ورأيتك تكبرين.

في الأعلى

الأغصان مبسوطة

من أجل العصافير وغنائها

الفضاء مفتوح كله للكتابة

ورأيتك تكتبين بغصن غض

وفكرة غامضة

والحروف تنمو مثل البراعم.

تحتها

مسلة الملائكة اللابسين حقلا من الأقحوان

المنشدين النشيد ذاته الذي يصل الروح

بأول لحظة أطلقت الشهوة في الطين

وروضت النار.

كان الرمل يرصد البحر

والغيمة

ترقب الطرق الضيقة في الغابات

كانت الأشياء مشدودة إليك

وأنت تكشفين عن حلم غابر

تحت صهيل البرق الوحشي

ونداءات الريح

كانت خيول مجنحة تعبر الغيم.

تحتها

أعمدة النور تزين ثوب العشب

بأقدام تتفتح مثل زهور الماء

وتمنح طفل الليل المستور بأوهام طفولته

قنديلا من ذهب

كي يعبر خيط الفجر الموثوق

الى ضفة أخرى، نائية، وغريبه

حيث نعاس الأنثى

يسفح فوق سويغات الصبح الأولى

خمرته

وأُميرات الثلج
يُقمَن حقولا للرقص
ويراقصن الضوء.

رسالة الى سيراف

في طريقي اليك
كنت أرى شجرا يتحلق حولي
وغيمًا خفيضا
وماء يبيل وجه القصيدة.
كنت أرى ما يرى الحالم
من مدن
وحقول من الأقحوان
وروجي تحلق مسحورة فوقها.
لكن ثمة من يهتف بي:
"أي هذا الذي جنته لحظة وتزول"
فأنظر خلفي
كي أرى ما لا يرى الحالم
من شجر يتقوض تحت سماء بعيدة
وعصافير ضلت عن الطيران
وعين الظلام
تحيط بما كان وما لا يكون.

موسيقى

موسيقى

لأشجار الخريف

للغيوم الهاربة بعيدا عن الحقول

للسوارع

للقلب الذي ينبض في الأصابع

إذ لم يعد هناك ما يحتفى به

غير موسيقى

لانتصاف الوقت

ما بين الخيبة والحلم

للدمية المجروحة بقسوة في روحها

وها هي تحاول أن ترقص

مثل موسيقى شجر

ورياح

موسيقى طبول

وعواصف

وفراشات عالية

في سماء الرقص.

موسيقى

لملائكة

بأجنحة عظيمة من الضوء

كي تحلق عاليا هي الأخرى

وبكل ما تملك من الجمال

ستمح للوقت ربعا

وللصبيّة زوجا

تلك التي تركض نحو كهولتها

دونما حكمة

دون مشيئة

دون رغبة في الوقوف

أو الوصول

وسوف تعبر آخر بساطينها

ثم تسعل صور الذين تمنّتهم

وتموت.

المحنة

الى الروح الخالدة "نيتشه"

يا أحمق

لماذا سكبت الماء البارد على الزيت

وهو يغلي

فأفزعته الخفافيش

قال له:

أرجع الى المختبر

وأعد التجربة ثلاثين مرة

بل أعدها حتى تتقيأ

بل أعدها

حتى تعود الخفافيش الى جحورها

ولا تتذمر

لا تكتب أسمك على الجدران

ولا تكاتب أحدا من أصحابك

حتى وأن رشقوا نوافذ غرفتك

بالورود أو الشتائم

لا تعلق على الباب قنديلا

ولا تتذكر أية امرأة

حتى اللواتي رأيتهن في الصحف

ثم قشر الوقت

دقيقة

دقيقة

وعدهن دون أب تخطئ

وأذا أخطأت

فقشر الوقت

ثانية

ثانية

وعدهن دون أن تخطئ

وأذا أخطأت

فأعد الوقت الى مكانه

وأياك أن تتذكر غير أخطائك

يا خائب

قال له:

بياض عينيك لم يحمر بعد

وشعرك ما زال أسود

إذن لن أشتري لك ساعة كما وعدتك

ولن أترك لك في الغرفة فراشا

أو وسادة

حتى لا تعود قادرا على جمع واحدتين

وإياك أن تدندن أي أغنية

كي لا تزعج الخفافيش

فصوتك ما زال عذبا

وروحك ما زالت طرية

يمكن أن تنبت عشباً

ووردا برياً

وأشجاراً

وربما صرت حديقة

وجاءتك فراشات ضالة

وربما صرت بستانا أو بحيرة

وجاءتك العصافير

والنحل

وطيور الماء

وربما هبطت الشمس قربك

وزارك القمر خلصة

عندها ستهذي كلاما جميلا

يفسد الخلق

لذلك سألغي شبابيك غرفتك

ولن أدع ضوءا يصل إليك

وكي لا تموت من الضجر

وربما صرخت

فأفزعته الخفافيش مرة أخرى
سأعلق فوقك مصابيح من كل لون
وعليك أن تتوهم أنها كواكب أو نجوم
وأياك أن تظن أنها مصابيح كهربائية
وَألا حرمتك من الورق
الذي تشخبط عليه أوهامك
يا أخرق

قال له:

أقرأ تعاليمي
التي علقتها في كل مكان يصل إليه
بل أحفظها
فليس لغير هذا علمتك القراءة والكتابة

وأغدقت عليك الحبر والأقلام

أحفظها جيدا

فهي منجاتك مني حين أغضب

بل هي منجاتك من نفسك

حين تدعوك الى الرقص

بل هي حصنك من الجنون الذي يتسرب اليك

مع القصائد والألوان

أحفظها

وانس القوانين المائعة التي تعلمتها

أنس خرافات الكيمياء

وطلاسم الجبر

وهرطقات المنطق

بل أنس الكتب كلها

وألا سلطت عليك العث والفئران
أجدادي هم الذين هتكوا ستر الغيب
وكسروا أمواج المعرفة العاتية
وليس هناك من مفاتيح لأبواب جناتهم
إلا تعاليمي التي ستحفظها مرغما
وأن لم تفعل
سأحقن رأسك بالبعوض
وأدشرك في الشوارع
فلا تعود تسمع شيئا غير الطنين
يا أهبل

قال له:

أنت رماد لذتي

فلك ما تريد من رياح الصيف

لك ما تريد من دوران البغل على الناعور

لك من القطيع نتن الحظيرة

لك كل ما تريد من القلق

لك القلق كله

والخوف كله

لك من الأحمال الكتف التي تهتم تحتها

ومن العصي الظهر الذي يجلد

لك كل ذلك

وبعد

وبعد

لك أن تركض ليل نهار

لا لشيء

الا لتسكب الماء البارد
على الزيت وهو يغلي
دون أن تفرع الخفافيش
يا أحمق.

الممثل

ذلك المشهد

أوسع مما ينبغي لاقتناص الحقيقة

فماذا ترى؟

أزيع الكلام عن النافذة

كلانا سيعرف من أين يبدأ جولته

أنا في ارتكاب الوضوح

وأنت...

ماذا ترى؟

أدخل متسخاً بكلام جميل

لأعرض وجهاً جديداً

كلما أشتد بيني وبين المساء العراكَ

سأخطئ ثانيةً

أعرفُ ذلك

فثمة ما يجعل الوجه أوسع مما تريد الحقيقة

ثمة خلف الستار وجوهٌ تذوبُ ملامحُها

في انتظارٍ نهارٍ جديدٍ

فيا ليتنا ما وقفنا أمامَ الخرائطِ والبوصلاتِ

نفتش عما يجرّ خطانا إلى جنةٍ آسنة

ويا ليت هذا الذي كان ما كان

ويا ليت أنا أزحنا الخرائطَ

والبوصلاتِ

وهندسةَ الضوءِ

وصوتَ المدافعِ

والعجلاتِ الحقيرةِ

ودورَ الممثلةِ العاقرِ

والقبعاتِ الغريبةَ

والواقفين برتلٍ طويلٍ

يحيّون وهماً سيمنحُهم ما يشاؤون

والمطرَ اليابسَ

والأحذيةَ المعدنيةَ

وصورةَ المُخرجِ المتفائلِ

والسكاكينَ التي نبتت في الخواصرِ

وحفلَ الجوائزِ...

ثم أين هذا من الضحكِ المرّ؟

...

المشهد أعلى كثيراً

وها أنتَ حيثُ يسبحُ الكلامُ ثقيلًا

تعرجُ ما بين صمتٍ وآخر

...

المدى ضيقٌ

وبيضُ الأفقِ سوداءُ

فهلّا استعرت ملامحَ أوحشٍ من هذه

كي تعود الى الغاباتِ مجيداً

أيها الناتئُ

في جسد المشهد المرمري

أيها الداكنُ

والمرّ مثل الحقيقةِ

هلا افتعلت ما يدفع الريبةَ نحوك أكثر.

الابن الضال

أنا أيضاً

أتمنى

أن تكون لي روحٌ بيضاء

وكوّة ينهمرُ منها النورُ صافياً على رأسي

إذ أكونُ جاثياً أمام مصيري

مردداً ذلك النداء القديم

الذي ينبعُ دون تعب.

أتمنى

أن يكون لي بيتٌ صغيرٌ

من ضوءٍ أو طين

وامرأةٌ تجدلُ الوقتَ لأجلي.

أتمنى

أفقاً منبسطاً

ودرباً واضحةً تستقيمُ أمامي

إلى حيثُ تتحدُّ الفصولُ

بفصلٍ أخضرٍ شفافٍ كالسماء.

أنا أيضاً

أتمنى

أن يكونَ لي أبٌ

يورثني أكتافَه القويّة

وجلالِ صوته

وحفنةً من تعاليمٍ أهتدي بها

وَلَا بِأَسَ بَشِيٍّ مِنَ الذَّهَبِ وَالتَّقْوَى.

أَتَمْنَى

أُمَّا تَمَسُحُ صَدَأَ الْحَمَى عَنْ جَبِينِي

وَتَرْتَقِ أَخْطَائِي الْكَثِيرَةَ

أَمَامَ النِّسَاءِ.

أَنَا أَيْضاً

مِثْلَكَ أَيُّهَا الْأَخُ الْأَكْبَرُ

أُرِيدُ أَنْ أُنَامَ مَطْمَئِناً

دُونَ أَنْ تَقَاسِمَنِي سَرِيرِي أَشْبَاحُ غَرِيبَةٍ

كِي أَنْهَضَ مُبَكِّراً

مِثْلَ دِيكَ مَزْهُوٍّ بِرِيشِهِ وَفَحُولَتِهِ

وَلَكِنْ .. كَيْفُ؟

الينابيع

الى: محمود جنداري

لا توقظوا الغريبَ من نومتهِ

لا تقطعوا عليه أحلامه وكوابيسه

فهي جراحه التي يمرُّ بدمها

أجنحة ملائكةٍ حلّقت بعيداً عنا

نحنُ الأشدَّ طراوةً رغم قسوتنا

والأكثرُ نفخاً في رمادِ الأمل.

لنا جغرافيّةٌ

تتسعُ الى أبعدَ من طينتنا هذه

ومدنٌ تتناسلُ ما بينَ خرائبِ آشور والشمسِ

لنا دروبٌ لا تنتهي

ودائماً تصعد الى أماكن جديدةٍ
حيث المصاطبُ مصفوفةٌ بانتظارِ الغريبِ
ولنا الآن أن نضيفَ مصطبةً أخرى
ونأسفَ مرةً أخرى
لأننا لن نقدرَ أن نسعفه بأقلامٍ وأوراقٍ
فليكن حبره من مرمدةِ العدم
وكرسيُّه ومنضدته ودفاتره مهيآت
على شرفةِ الوقتِ العاليةِ
ليطلَّ على عذاباتنا
نحن أصدقاءه القدامى: جرجيسُ، وأبراهيمُ،
ويافتُ.

...

...تلك هي دعابَتنا

أن نمزج الكلمة بدمنا، بالطين، بالنار
ثم نجلس على أطلال تاريخنا الطويل، كأنّهُ موصولةٌ
مترقبين دخول النقاشين، ونقاري المرمي
وأستاذة الفسيفساء على الصوامع والقباب
...

...خمسين قرنا ونحن ننتظر
نهندس جنّتنا
ونبتكرُ لها أشجارها وخمورها
نذرُ المسافات ما بين يثرب وأرابخا
والعتبة الأخيرة من سلّم هذا القرن المتآكل
كأنما هاجسٌ يقودنا

إلى الخيط الذي ينتظم النهارات كلها
منذ أن جففت الشمسُ شعرَ جلجامش
الخارج من الطوفان، ليعتلي أسوار أوروك

ناثرا كوابيسه وأحلامه

على الدواب التي تسرح بين جبال آشور

وساقى دلمون اللتين تمسكان بالبحار

...

...خمسين قرنا ونحن نمطر أحلامنا وكوابيسنا

على مدني تنهض وتهاوى بين الترف والخديعة

مدن تبتكر مقاصلها وجلادها

قبل ابتكار الخبز والأسرة

كل شيء يقايض فيها بالدم، حتى الكلام

لذلك أستوقف النفري قلبه

حين أدركته ثيران اللغة ووعولها المجنحة

وحطت عليه طيور الخرافة التي

نادراً ما تهبط من سماواتها

أذ ذاك قلتُ له: ليتَّسعُ جنونُك حيثُ تضيقُ العبارةُ

يا سيدي

قال: لقد فُضِّحنا

وما عادَ هناكَ متسعٌ للكتابةِ بغيرِ الدم. قلتُ: وهل

الدمُ علامةٌ يا سيدي؟

...

...بعد خمسين قرنا من الحفر بالأظافر والدم

بحثا عن الينابيع المدفونة مع الملوكِ وأخطائهم

رجعنا لنذرَعِ المسافاتِ

ما بين قره قوشِ وأنطاكيَّةَ وطورِ سيناءَ

عابرين الرمالَ المنسيَّةَ

إلى حيثُ الملونين الذين استوطنوا الشواطئ

جالبين معهم التوابلَ والأرق

وأبدأً تلاحقنا رائحةُ الرصاص
لتُفسد علينا العجينَ قبلَ اختمارِهِ
والقصيدةَ قبلَ اكتمالِها
ورجمَ الصبيّةِ قبلَ بلوغِها
بينما الدخانُ يرعى جراثيمه في قاعاتٍ باذخةٍ
وها هي تطلق ضحكاً لا يشبه الضحك
فإلى أين تمضي أيها الغريبُ
والليل لا يترك أيّ أثرٍ لأقدامك أو لرائحتك
وعبثاً تضع علاماتٍ في طريق رجوعك
كأنّك وأنتَ تمخر ليل الموصل وحيداً
تفتش عن روح ضلّت طريقها منذ سقوط آشور
أو خرابِ أورشليم
كي تنادِمَكَ في ليلةٍ كهذه

تذكّر بنزوح الأهل إلى المنافي

وكائناتاً من كنتَ أيها الغريب: يونسُ أو أرميا

فليس هناك من مكانٍ آمنٍ لأحلامك المعطلة

وأصدقائك القدماى، ما عادوا من الثكنات بعد

ليشهدوا بأنك أفضلُ نافخٍ ببوق المراثي

ترى بأية لغةٍ سيطلقون نشيدهم

حين يمر بهم صدى نشيدك الدامي

بأية نار سيغسلون جلودهم وعيونهم

ليزيلوا الصدا عنها

وعن قلوبهم

وأحشائهم

وذلك أوّل الطريق إلى حقولنا

أيها الغريب....

صور تذكارية

1. صورة أردال حسن

أهلُّ

وسهلُّ

ومائدةٌ من أسيِّ

وخرابٌ يحاور دفلی

وخمِرُّ

وجمرُّ

وأبَّهة من كلام

وصباحان يقتعدان مساءً ثقیلاً

ويفترضان غداً باذخاً

ثم أينك؟

هذا سراط القداسة والشعر

ستدخلُ أمجادنا بعد حينٍ مكللةً بالخسائر

....

لا بأس

ما ضلّ رباننا

لكنها التركاتُ الثقيلة.

2. صورة سماري إبراهيم

أصابه

توحي بأنه لن يموتَ في حربٍ

ربما في شارعٍ خالٍ

أو كاتدرائية قديمة.

حين فكر أن يفتح الفراغ
تسلّح ببندقيةٍ من القصب
وقنابلٍ من الطين
وامتطى غبارَ المعادن
تاركاً الخليج وراءه.

....

قبل ذلك
كانت الرمالُ قد ضللتنا
صورتني في جيبه
وصورته في جيبي
وما كنّا لنلتقي
لو لم تكافئنا الحروب
على أخطائنا.

3. صورة حمد صالح

هل تذكرون شيئاً من ملامحه

أنحرفُ عينيه الى جهةٍ غير محسوبة

رأسه المدوّخ ليل نهار

لحيته

أسماله

ساعته التي تشير إلى وقتٍ آخر

غير وقتِ الدوام

أو الأكلِ

أو النزهةِ

هل تذكرون قلبه الزجاجيَّ

أحلامه التي تيبست أطرافها من الركض

فوق ثلوج خيباته

لسعَاتِهِ البَذِيئَةُ

سَرَقَاتِ لُغَتِهِ وَأَخْطَاءِهَا

هل تذكرون كم كان بعيداً عن الموت؟

القديس ن

تذكرها

وهي تفتح كفيها

تحت الصواعق

بينما كان يركض في خوفها

عابثا بضراعتها

ورماد الصدفه

والنرجس

كان يصعد

نحو سماوات تلمع كالفضة

حين اشتعلت فيه خيول متوحشة

وأشعلت الليل

وكان سيخرج مكشوف الصدر

أمام نساء ينشدن له

ويضمخن فتوته بأنوثتهن

لولا أن أدركه الموت سريعا

فعاد وحيدا

دون بطولات.

خريفُ المحارب

ليس لديك ما يكفي من الفرحِ

كي تموتَ هكذا

وحيداً

مثل نسرٍ تخلّت عنه الرياح.

لم يكن لك أرضٌ

كي تهجرها

ثم تحنّ إليها

ولا أبٌ

ولا أمّ

ولا أحفادٌ تقصّ عليهم بطولاتك.

أيّها العائد الى الشعر

مخدولاً

لن تطيعك الكلماتُ بعد اليوم

فامكث بعيداً

وتمنّ شيئاً آخر

غير فردوس الحروف.

انتظر هناك

قد يمرُّ بك

بعضُ صحبك القدامى

عائدين من الحروب

أو راحلين الى المنافي

اسألهم شيئاً

فعندهم من الحياةِ أكثر

ومن الخيبات أكثر.

قد تمرّ بك مدنٌ تعرفها

أو حقولٌ أمضيتَ بها بعض صباح

لا تتأسَّ عليها

فثمة مدنٌ لم ترها

وحقولٌ لم يدنّسها أحدٌ

ستبقى بعيدةً عن الحروب.

دائماً

ستجد عصفوراً يغني

ولو احترقت الغابة كلها

وعشبةٌ تتشبّث بخضرتها

ولو جفّت الأنهار كلها.

في انتظار القصيدة

دائماً هناك ضفّةٌ أخرى نجعلها
ومدينةٌ بعيدةٌ لا نعرف الطريق إليها
وبيوتٌ توصلُ أبوابها دوننا
ونوافذ مقفلةٌ.

دائماً هناك امرأةٌ تخيّبنا
وأغنيةٌ لا نسمعها
وفراشاتٌ تنتظر ربيعاً لا يأتي
وأطفالٌ يشيخون سريعاً.

دائماً

هناك الكلمةُ المحبوسةُ

والخطوةُ العائرةُ

والأملُ الذي يولدُ عند الصباحِ

هزياً

.....

.....

فمن أين تأتي القصيدة؟

آلوكا

آلوكا

ليست مدينة على البحر

وليس فيها حانة

يرتادها الصيادون والأجانب

هي ليست حلما لأحد

الباحثون عن الدفء لا يعرفونها

ولا الباحثون عن الثلوج

لا متحف فيها

لا صالة رقص

لا مدينة ألعاب

ولا حدائق

هي ليست من بقايا آشور
ولم يمر بها الرومان يوما
ليس فيها دير قديم
ولا ضريح لصحابي جليل
أهلها لا يعرفون شكسبير
كي يبنوا مسرحا
أو يقيموا تماثيل لأبطالهم
العصافير تغني بها
كما في أي مكان آخر
والسعادة فيها لا ترتدي ثوبا مختلفا
ولا البؤس
آلوكا
تراب

و تلال

وبيوت قليلة منثورة تحت الشمس

آلوكا

صمت أليف

وروائح أشجار

وماء

وبضعة شيوخ

يجتمعون عند المساء

وعيونهم على طريق القرية

في انتظار من يمر بهم

غداً ،

أو بعد غد ...

ديناصور

الكل يعرفه

لم يره أحد

لا صحفي

لا طالب علم

لا بائع في مخبز أو على رصيف...

مع ذلك

الكل يعرفه

جهته التي تلمع عبر زجاج سيارته

سيجاره الذي لا ينتهي

نظارتها القاتمة التي تخفي نصف وجهه

صورته في كل مكان...

لم يره أحد

ولم يدع أحد أنه رآه

لا سائق

لا متسول

لا عامل في مطعم أو بار...

إذا لفظته الشواطئ

آوته الغابات

له في كل ليل متسع كي ينام

وفي كل نهار

مقعد كي يشرف على ما تكشفه الشمس...

لم يره أحد

ولا أحد يفكر أن يراه

أحياناً، أخباره تنهمر مثل المطر

وأحياناً تشحّ كالزئبق

...

آخر أخباره:

أنّه يأكلُ العشبَ مثل خروفٍ

وببيضُ مثلَ دجاجة.

البلادُ الباردةُ

من يدلّني على شجرةٍ أعرفها

أو شارعٍ مشيئتهُ يوماً

.....

البلادُ الباردةُ

ليست بلادي

لا ليلاً ليلٌ

ولا خمرها خمرٌ

ولا نساؤها كالنساءِ

.....

حين تسيرُ وحيداً

ملفوفاً كأنّك في كفنٍ

منبوذاً كسمكةٍ لفظها البحرُ

وليلُ العالمِ يمتدُّ أمامك

من ستنادي؟

من إذا ما صرختَ سيسمُعُ صراخك؟

هل ملائِكُ أسودٍّ يمنحُك جناحيه

لتحلّق نحو سمائك؟

وأيةُ سماءٍ تعرفك اليوم؟

وأيةُ أرضٍ؟

وراثه

1

أنا مثلكِ

مطروءٌ إلى الأماكنِ العاليةِ ...

هكذا أرى العالم أوضح.

2

أنا مثلكِ

تضيئُ بي حدائقُ الفرحِ الصغيرةُ

فأهرعُ نحوِ حقولِ الحزنِ الممتدةِ

تحتَ الشمسِ

وتحتَ الظلامِ.

حلم

أفقتُ من حُلُمٍ

وكنْتُ فيه الطريدَ الذي أصابوه في ساقه

بين أحراشٍ لم يرها من قبلُ

أسحلُ ساقِي المصابةَ خلفي

وبي أملٌ أن أصل الماء.

زوبعة

نونُ

والبحر يقذف ما يعزّ

وما يهونُ

ريح أتت

ريح مضت

ريح ستأتي بعد حينُ

لا أنت تعرف ما يدور

ومن يديرُ

وأين صار

وما يصيرُ

وكيف خانَ

ومن يخونُ

ريح تزمجر

ثم تهدأ

ثم تعول مثل حشدٍ من ذئابٍ

ثم تعصف بالمنازل

والحدائق

والحصونُ

تلك آخرة الجنون.

مسوخ

المساء الأخير

مساء مصابيح أطفئت قبل موعدها

وخلف النوافذ، صمت

وخوف

وطفل يلوذ بأم

وأم تلوذ بخيط رجاء مرتجف.

وتهمهم: لا تخف يا بُني

فما هي الا كلاب

تجوب الشوارع

في شكل ذئب.

ما زلتُ أمشي

أتذكر مدينةً

يلتف على خصرها نهرٌ

تنبت على ضفتيه

بيوتٌ قديمةٌ

وأشجارٌ

وأضواءٌ.

أتذكرُ

جسراً عتيقاً

وسوقاً معبّقةً بالتوابلِ

وأصواتِ قطاراتٍ متشابهةٍ

تأتي وتمضي

وجنودا يرتقون أحلامهم.

أتذكّر

أرصفتُ وشوارعَ مغسولةً

ومشّائين يطوفون أسواقها

بعضهم يدندن أغنية

بعضهم يتأمل نافذة أو جدارا

بعضهم عاد توّاً من الحرب

بعضهم يثرثر عن ورطة الحب

بعضهم ما زال يهذي من سكرة الأمس

بعضهم ذاب في صفحة من كتاب

بعضهم يبحث عن وردةٍ في الخراب

بعضهم ناعم مثل ظهر الحصان

بعضهم يتسوق للعيد قبل الأوان

بعضهم نام

بعضهم مات

بعضهم ...

ما زال

يمشي.

ماذا تركت؟

تركتُ في الموصل

جسراً عتيقاً

يحلم بنوارس تحلقُ حولهُ.

تركتُ نهراً حزيناً

وصيادينَ

ومنائِرَ متعبةً

وكنائسَ صامتةً.

تركتُ مقاهيَ مغلقةً

تنتظرُ الصبحَ

وشوارعٌ سوداءَ خاليةً

الّا من شمسٍ تغسلها كل يوم

في انتظارِ مواكبِ أعراسٍ

ستمرُّ غداً.

تركتُ نوافذَ عاليةً

تطلّ منها قلوبٌ نابضةٌ

تنظرُ نحو أفقٍ مسفوحٍ على التلال

تركتُ التاريخَ

مشدوداً بجناحيّ ثورٍ مبتسمٍ

تركتُ حمائمَ

وصبايا

وأغنيةً ما زالت تدورُ

يردلي

يردلي

سمره قتلتيني

...

الحصانُ الجريح

وأنا

أحاول أن أتقدّم نحو البركةِ التاليةِ
أسمعُ الهاتفَ ذاته: لا تلتفتْ خلفك ...

الماءُ معتكّرٌ قليلاً

والريحُ تسفعُ وجهكَ

تحت الشمسِ والتعبِ.

ستنتظرُ الشتاءَ القادمَ

ربما لن يكونَ مطرُهُ أسودَ

ولاً أصفرَ

وربما

عندها لن تكونَ وحيداً

ستمر غيمةٌ فوقك، أو نسرٌ

فلا تلتفت خلفك

الذاكرةُ متروكةٌ بعيداً

كإسطبل مهجورٍ

وبي رغبةٌ أن أحيد عن الدرب

كي لا أرى مواكب القردة ترقص

محتفلةً بالهزيمة.

.....

لا تلتفت خلفك

السماءُ للنسورِ والشمسُ

والأرضُ للخيولِ والمحاريث.

المحتويات

غريق.....	صبايا.....
قصائد جبلية.....	قصائد جبلية أخرى.....
الى ستار الشيخ.....	أقحوانة الكاهن.....
فتور.....	صورة تذكارية.....
تمثال.....	الشجرة.....
رسالة الى سيراف.....	موسيقى.....
المحنة.....	الممثل.....
الابن الضال.....	الينابيع.....
صور تذكارية.....	القديس ن.....
خريف المحارب.....	في انتظار القصيدة.....
ألوكا.....	ديناصور.....
البلاد الباردة.....	وراثه.....
حلم.....	زوبعة.....

.....مسوخ
.....ما زلتُ أمشي
.....ماذا تركت؟
.....الحصانُ الجريح